**تطور تاريخي لعلم النفس**

**مرحلة الأفكار البدائية**



**علم النفس عند اليونانيون**

إن علم النفس قديم قدم تأمل الإنسان في ذاته واستشعاره بوجوده ، وقد اعتمد الإنسان منذ قديم الأزل على البيئة وما فيها من كائنات وظواهر أثارت اهتمامه وجعلته يتساءل عن الظواهر الطبيعية مثل : الرياح ، العواصف ، المطر ، الحر ، البرد ، الزلازل ، البراكين

وحتى انه تساءل عن الظواهر الإنسانية مثل : الميلاد والموت ، وبالتالي قاد الإنسان إلى التأمل في ذاته ، وهذا التأمل في الذات هو الذي ساد جميع الحضارات القديمة جميعا ، ولكن الحضارة اليونانية أثارت الدهشة والإعجاب في جانبها العقلي والفلسفي خاصة ، ويعتبر اليونانيون هم الذين اخترعوا الفلسفة والعلم ، وتقدموا على المصريون والبابليون الذين سبقوا اليونانيون ولكن في المعرفة العملية فقط ، بينما الاستدلال القياسي والبرهان الهندسي فهو اختراع يوناني .

**فلاسفة اليونان الذين عالجوا موضوع النفس**

**سقراط 470 – 399 ق م**

هو أول الثلاثة الكبار في الفلسفة اليونانية وكان يعرف بأنه " أعلم أهل عصره " وقد أهتم بالإنسان وينازل السوفسطائيون في الشوارع والأسواق ويدحض أفكارهم الموجهة للشباب اليوناني ويعلمونهم الدفاع عن الرأي ونقيضه في الوقت نفسه .

وأساس تعاليمه النفسية هو قوله ( أعرف نفسك ) وأن المعرفة الحقيقية موجودة داخل الإنسان ولكن الانشغال والانصراف للأعمال اليومية يحيط المعرفة بغشاوة ، وأن الطبيعة تشتمل على قوتين هما ( العقل – الشهوة ) وهما يعيشا سوياً إلا أن الصراع بينهما صراع دائم لاختلاف طبيعة كل منهما .

**أفلاطون 427 – 347 ق م**

له اكتشافات ونظريات في علم النفس والموضوعات النفسية المختلفة ، أسس معهد تعليمي وجامعة عظيمة في أثينا عام 387 ق م ومن أهم أعماله ( جمهورية أفلاطون )

**نظرية أفلاطون في النفس**

يرى أفلاطون بأن النفس سابقة على الجسم لأنها وجدت قبله وستستمر بعده وهي خالدة لأنها كانت تعيش في عالم من الأفكار والمثل

وقسم أفلاطون النفس إلى ثلاثة أقسام :

1- النفس العاقلة ( مركزها الرأس ، لأن الرأس أعلى جزء في الجسم ، فهي أقرب إلى السماء )

2- النفس الغضبية ( ومركزها القلب )

3- النفس الشهوائية ( ومركزها البطن )

ويرى وجود صراع بين هذه الأنفس الثلاثة ، فالشخص الذي تسيطر عليه النفس العاقلة أقرب إلى الكمال وأفضل من الشخص الذي تسيطر عليه النفس الغاضبة أو الشهوانية .

وقد شبّه أفلاطون الأنفس الثلاثة بعربة يقودها جامحان هما النفس الغضبية والنفس الشهوانية ، أما القائد فهو النفس العاقلة .

**نظرية المعرفة عند أفلاطون**

رأى أفلاطون بما أن النفس أقدم من الجسم فلابد أنها كانت تعيش في عالم سابق أسماه بـ"عالم المثل" ويرى بأن أفضل منهج للوصول إلى المعرفة الحقيقية هو منهج الاستدلال العقلي الذي يعتمد على التفكير المجرد ، أما الأشياء المحسوسة فهي متغيرة زائلة .

**الفروق الفردية عند أفلاطون**

كان أفلاطون أول من اهتم بدراسة الفروق الفردية وذلك حسب النفس المسيطرة عليهم ، فقسّم الناس إلى ثلاثة أنواع :

• الحكام وهم الفلاسفة : ويتميزون بالنفس العاقلة والقدرة على التفكير والاستدلال

• الجند أو الحرس أو المحاربون : ويتميزون بالنفس الغضبية ولذلك أسندت لهم مهمة الحرب والدفاع عن الوطن

• عامة الناس وهم العمال : تسيطر عليهم النفس الشهوانية

**أرسطو 384 – 322 ق م**

أكبر فيلسوف في تاريخ الفكر الإنساني ، وألف أشهر كتب علم النفس وهو ( النفس ) ، كان له دور كبير في تطوير المنهج العلمي بالإضافة إلى دراسة النفس مع العلوم الطبيعية التي تدرس كل ماهو مادي ومتحرك في آنٍ واحد .

والنفس عند أرسطو واحدة ، ولها مظاهرها المختلفة مثل التغذي والنمو والتوالد والإحساس والحركة والشهوة والتخيل والإدراك ، وهذه الوظائف ليست مستقلة بل يتبع بعضها بعضاً، وقد تجتمع كلها في كائن واحد كما في الإنسان

ومذهب أرسطو : أن كل شيء طبيعي له حياة وبالتالي نفس هي مصدر حياته ، وعلى هذا فهو يفرق بين ثلاث أنواع من الأنفس :

• النفس النامية : وهي أساس الحياة والغذاء والنمو ، وهي موجودة في النبات ، وهي الوظيفة الأولى للنفس

• النفس الحيوانية : وظيفتها الحركة والإحساس عن طريق الحواس الخمس

• النفس الناطقة : وظيفتها التفكير ، وهي الموجودة في الإنسان

وأشتهر أرسطو بنظريته في " الوسط " أو ما يسمى " الوسط السعيد " حيث أن السعادة في الفضيلة ، والفضيلة وسط بين إفراط وتفريط كلاهما رذيلة ، فمثلاً الشجاعة وسط بين طرفين هما الجبن والتهور وكلاهما رذيلة ، والكرم فضيلة وسط بين طرفين هما الإسراف والشح ، ولا يعد الفضيلة طبيعية فطرية في الإنسان وإنما الطبيعي عنده هو استعدادات وتكتسب بتطبيقها على حالات معينه ويمكن كذلك تعلّمها كأي فن

علم النفس والتربية لدى المسلمين

**ابـن ســـــينا**

1- يعتبر ابن سينا أول الفلاسفة القدماء الذين ربطوا وظائف الإحساسات والخيال والذاكرة بشروطها الفسيولوجية، ويرجع ذلك إلى ريادته ونبوغه في علم الطب، كما أن له فضلًا كبيرًا فى توضيح أوجه الشبه بين إدراك الحيوان وإدراك الإنسان. نعم سبقه أرسطو إلى تصور النفس الحيوانية، لكن لم يسبق أحد ابن سينا فى إلقاء الضوء الساطع على علم النفس الحيواني كمدخل إلى دراسة علم النفس الإنساني التجريبي.

2- أدرك ابن سينا بوضوح تعقيد عملية الإدراك الحسى وتركيبها من عناصر متعددة متداخلة، إذ يبدأ الإدراك باستخدام الحواس ثم الربط بين الأفكار الحسية المختلفة وكيفية إدراك المعاني التى ليست لها حواس خاصة كالشكل والحركة ونحوها، ولا ينسى دور الخيال والذاكرة فى تكوين الإدراك الحسي .

3 . إشارة إلى ما يسمى الآن حجة الخداع، وهى الإدراك الخادع، وكيف نميزه من الإدراك الحسى الصحيح. ويضع ابن سينا معيار التمييز حين يقول لا خطأ فى الإحساس وإنما الخطأ يكمن فى حكمنا عليه. ثم نشير إلى بعض أخطاء الحواس كظاهرة الهلوسة مثل رؤية الأشباح الكاذبة أو الأحكام التى تصدر عن المرضى ونحو ذلك

4 . أنتبه ابن سينا إلى التأثيرات النفسية على البدن، فها هو يقول فى «القانون فى الطب»:إن من المعالجات الجيدة الناجعة الاستعانة بما يُقـوِّى القوى النفسانية والحيوانية كالفرح ولقاء ما يستأنس به، وملازمة من يُسرَّ به».

لقد اشتغل ابن سينا فيما نسميه اليوم بالطب النفسانى الجسماني، أى الأمراض النفسية التى تنجم عنها أمراض جسمانية عضوية مما يدل على «طاعة الطبيعة للأوهام النفسية» حسب تعبير ابن سينا نفسه.

**المعرفة بالنسبة لابن سينا**

بالنسبة لابن سينا في هذا الصدد فإن المعرفة تأتي من الفطرة السليمة، والتي تتطلب مستوى من الإدراك لفهم هذه الفطرة. والأخيرة تختزلها الغريزة والتي تدفع به إلى تجنب الألم. والغريزة هي التي تدفع بالإنسان إلى تجنب الألم، والانجذاب إلى الجوانب الممتعة في الحياة، وهذه الغريزة موجودة في الإنسان والحيوان وفوق هذه الغريزة نجد المخيلة الإنسانية والتي لا تتواجد في الحيوان.

هذه المخيلة تدمج الحواس مع الغريزة لكي تستنتج المستوى التالي من مراحل العقل وهي التقريب.حيث يقوم الإنسان بتقريب الأشياء وتقديرها وإيجاد الأفكار التجريدية منها، وكل هذه المستويات تخزن في الذاكرة وهي المستوى الأعلى.

**التربية عند أبن سينا**

1 .أدرك ابن سينا أهمية هذه المرحلة وأولاها الأهمية البالغة وهي مرحلة تمهيدية تكون سابقة لدخول الطفل المدرسة والتي تعرف الآن باسم (سن الحضانة). ويعلل ابن سينا أهمية هذه المرحلة بأن شخصية الطفل في هذه المرحلة مرنة قابلة لاكتساب جميع العادات والطباع السيئة منها والصالحة على حد سواء لذا يدعو ابن سينا إلى اتباع أسلوب تربوي نبعد فيه الطفل عن الرذائل ونؤمن له تربية صالحة وسليمة يتمثل هذا الأسلوب بإبعاد الطفل عن كل ما هو سيء في محيطه حتى لا يكتسب الطفل هذه الرذائل وهو أسلوب وقائي.

2 . ، العناية بميول الطلاب وقابلياتهم وتوجيههم نحو الدراسات التي تؤهلهم لها تلك الميول والقابليات. حيث يقول ابن سينا في القانون: (وعلى المؤدب أن يبحث للولد عن صناعة فلا يجبره على العلم إذا كان غير ميال إليه.))

3 . يؤمن ابن سينا بالثواب والعقاب المعنويين وليس الماديين، فإلى جانب العقاب المعنوي (الترهيب والاعراض) هناك ثواب معنوي (الترغيب والحمد والاقبال) وقد أوضح هذا الأمر في كتاب السياسة فصل تدبير الرجل ولده حيث نجد أن ابن سينا قد اهتم بتربية الطفل وتأديبه في مرحلة مبكرة من عمره كخطوة وقائية اولية.

والعقوبة عند ابن سينا ارشاد وتوجيه للسلوك وحرص على تعديله برفق، ويحرص كذلك على أن يكون الدافع من وراء العقاب ليس الانتقام والكراهية بل حسن التربية والاخلاص في العمل.

4 . يجب أن يكون عليه المؤدب ( المعلم او المدرس او المرشد أو غير ذلك ... ) عالماً بعلم نفس النمو وسن الطفولة والمراهقة ، ويجب أن يكون وقوراً ورزيناً، بعيداً عن الخفة والسخف، قليل التبذل، ذا مرؤة ونزاهة.

**الغــــــــــــــــــــزالي**

مصطلح النفس: يرى الغزالي أن مصطلحَ النفسِ يُطلقُ بمعنيينِ؛ أحدهما: أن يطلقَ ويراد به المعنى الجامعُ للصفات المذمومةِ، وهي القوى الحيوانيةُ المضادةُ للقوى العقليةِ، والثاني: أن يُطلقَ ويراد به حقيقةُ الآدمي وذاتُه؛ فإن نفسَ كلِّ شيءٍ حقيقتُه، وهو الجوهرُ الذي هو محِلُّ المعقولاتِ،

وتختلفُ النفسُ باختلاف أحوالِها العارضةِ عليها؛ فإن اتجهت إلى صوابِ الصواب، وتواترت عليها نفحاتُ فيضِ الجودِ الإلهي، ونزلت عليها السكينةُ الإلهيةُ، وإن كانت مع قواها في شجارٍ ونزاعٍ، فتارة تنزعُ إلى جانب العقولِ، فتتلقى المعقولاتِ، وتثبُت على الطاعات، وتارة تستولي عليها القوى فتهبطُ إلى حضيض منازلِ البهائمِ؛ فهذه النفسُ نفسٌ لوَّامةٌ.

**أقسام النفس**:

ويبيِّنُ الغزالي أن للنفس الحيوانيةِ بالجملة قوَّتين: إحداهما محركة، والأخرى مدركة، والمحركةُ قسمان: باعثةٌ، ومباشرةٌ للحركة؛ فالمباشرةُ للحركة هي القوةُ التي تنبثُّ في الأعصاب والعضلات، ومن شأنها أن تشنِّجَ العضلاتِ، فتجذبَ الأوتارَ والرابطات المتصلةَ بالأعصاب إلى نحو جهة المبدأ، أو ترخيها فتصير الأعصابُ والرباطاتُ إلى خلاف جهةِ المبدأ، وهذه خادمةٌ للمحركة الباعثة.

ويرى الغزالي أن النفسَ المُدركة قسمان: ظاهرةٌ وباطنة؛ وأما الباطنةُ فخمسةٌ: الأولى الخياليةُ، وهي التي تبقى فيها صورةُ الأشياء المحسوسةِ بعد غيبتها، فتلك القوةُ التي فيها انطبعت صورةُ المرئي تُسمَّى خيالًا، وتسمى حسًّا مشتركًا؛ إذ يبقى فيه أثرُ مدركات الحواس الخمس كلِّها.

**الاراء التربوية للغزالي**

أشار الغزالي إلى اهمية الجانب العملى والتطبيقى فى العملية التربوية، ولكي تنمو بذور التعليم والتربية وتتسع وتنمو جذورها يجب ان تتحول المعلومات الى حيز التطبيق، فبدون التطبيق، تبقى المعلومات والمهارات، كالكائن الميت، ولذلك قال : (العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون ) .

كما وضع مجموعة ارشادات ما بين قطبي التعليم والتربية ( المعلم والمتعلم / طالب ) وهي كالآتي :

إن يكون من ذوي محاسن الاخلاق له سيرة، كالصبر والقناعة والحلم والتواضع والصدق والوفاء والوقار وطمأنينة النفس والسكون والتأنى.

أما بالنسبة للمتعلم، فقد حدد له ايضا شروطا، منها:

1 . أن يحترم معلمه ظاهرا وباطنا.

2 . ألا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج معه فى كل مسألة، واِنْ علم خطأه.

3 . أن يعمل بما يأمره من العمل بقدر وسعه وطاقته.

4 . إنّ كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر، لا ينكره في الباطن، لا فعلا ولا قولا، لئلا يتسم بالنفاق.

5 . أن يحترز عن مجالسة صاحب السوء ، ولذلك قال : ( التربية يشبه فعل الفلاح الذى يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه ).

**ابــــن خـــلدون**

1 .أول من أشار إلى أن الإنسان هو نتاج الوراثة والبيئة وبالتالي فهما يؤثران على نفسيته وطباعه وخلقه وسماته، فالأقاليم المعتدلة سكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وتدينا ويضيف أن النبوءات اختصت بالأقاليم المعتدلة لأنهم أبعد عن الانحراف في عامة أحوالهم، ويشير إلى أن الترف والغنى الفاحش يفسد الصحة البدنية والنفسية وينحرف بالتفكير، أما الاعتدال في المعيشة ففيه إذكاء للعقول وخفة للأجسام.

2 . تحدث عن الرؤى والأحلام وتوارد الأفكار والتأثير النفسي عن بعد ومذهبه فيها متقدم جدا، ويقول في موضوع الأحلام أن النفس في النوم تعود إلى مداركها، وتقتبس من الواقع بالمحاكاة فكلما كان الشخص معرضا للمشاكل كلما كانت صوره الحلمية مشوشة ومضطربة أما ذو النفس الصافية فأحلامه هادئة.

3 .تطرق لنظرية الأطوار النفسية، وهي تقع على الأفراد كما تقع على الدول والمجتمعات، وفي كل مرحلة يكون للفرد كما للدولة خلق يميز هذا الطور، لأن الخلق تابع للمزاج والأحوال النفسية.

**الجانب التربوي والمعرفي والفنون**

اهتمّ ابن خلدون في طرحه التربوي إلى الجوانب المهنية والحِرف اليدوية التي يمكن للإنسان تعلّمها وإتقانها، مُشيراً إلى أن هذه الصناعات تتطور وتكثر بتوسع المجتمع ومستوى رفاهيته، فالإنسان والمجتمع يسعى باستمرار لتلبية حاجاته الضرورية، سعياً لتأمين متطلبات الحياة على اختلافها، تِبعاً لاختلاف التجربة؛ فأهل الريف يتقنون ما تحتاجه حياتهم من زراعة ونسيج وصيد وغيرها، في حين أهل الحضَر لاتساع بيئتهم وانفتاحها تصبح الكتابة والقراءة ضرورة لا غنى عنها.

كما أكد ابن خلدون على ضرورة تعلّم الفنون على يد المهرة المتخصصين، مع التركيز على تعلّم فنٍ واحد، دون تشتيت المواهب والجهود، وهذا مما يدل على توسع ابن خلدون في طرحه لشؤون التربية، وذلك لاطلاعه الموسوعي وتمكنه من دراسة المجتمع والعوامل المؤثرة فيه، حتى أنه تطرق لأسس ومبادئ التدريس، وأضاف لها أساليب التدريس ومنهجية صياغة محتواه، إلى أن صنّف المعرفة إلى ثلاث فئات، هي :

المعرفة الإدراكية التي تنتج عن الذكاء والادراك الطبيعي، فينتج عنها حُسن التصرف،

المعرفة التجريبية التي تؤهلنا لاستنتاج القرارات والتصورات بالاعتماد على تجاربنا،

المعرفة النظرية، وهي مجموع الخبرات والمؤهلات والقدرات التي تم تطويرها ذاتياً، للارتقاء بصاحبها علمياً وعملياً وروحياً.

كما وضع مجموعة من الاسس في طرائق التدريس وهي كالاتي :

1 . ان يكون التعليم متدرج من البسيط إلى المعقد ، ومن المحسوس إلى المجرد .

2 . ان يتدرج التعليم من العام الى الخاص .

3 . استخدام الامثلة الحياتية المألوفة في الشرح والتعليم والتعريف

4 . أن تكون المواضيع المعرفية متتابعة ومتكاملة لكي يدرك المتعلم العلاقات فيما بينها .

5 . عدم تراكم المعلومات والاعتماد على الجانب التخصصي .